سلسلة مشاهير علماء المسلمين

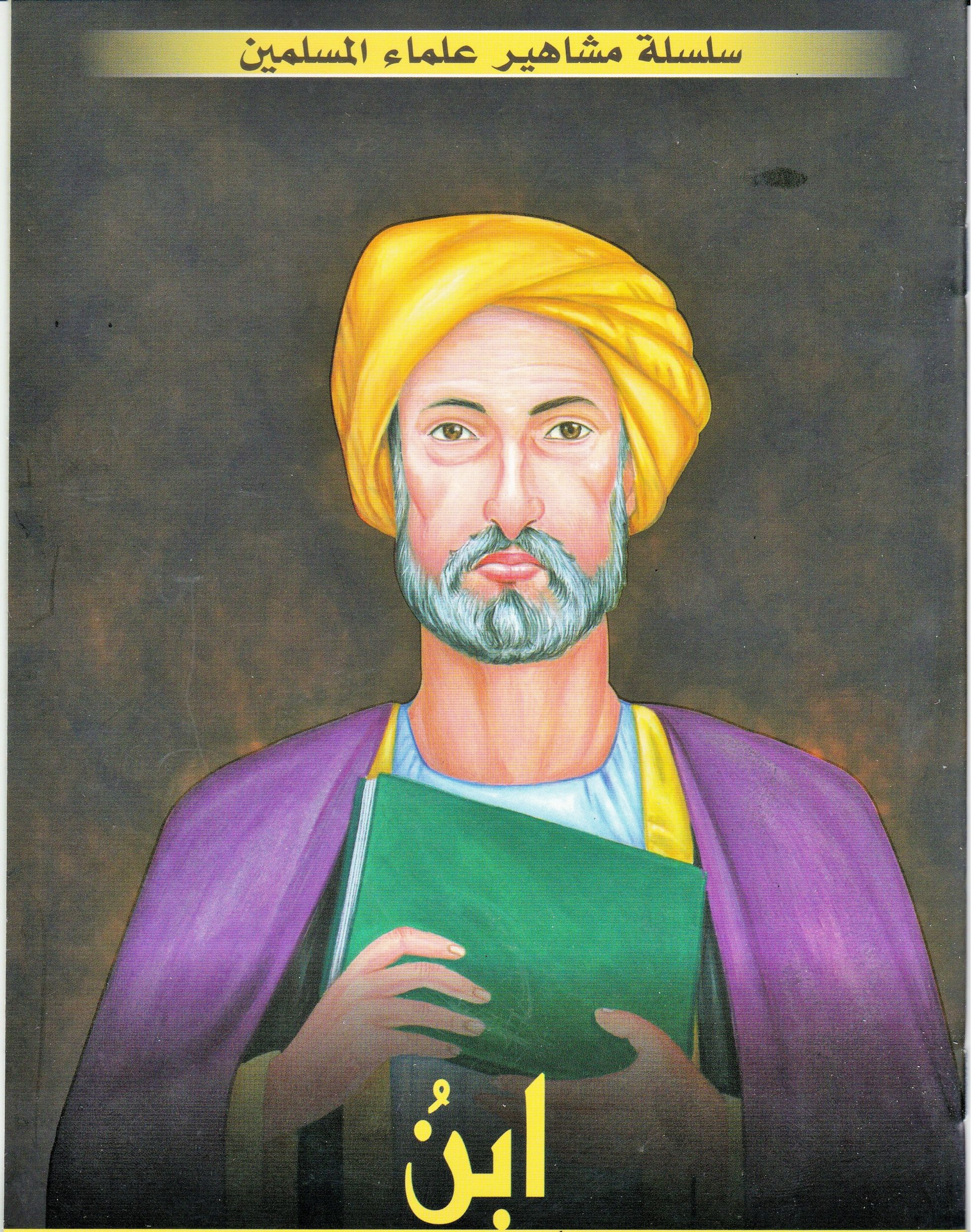

ابنُ خلدُون

ابنُ خَلدُون

مؤرخ الحضارات

شركة
دار الشرق العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرائق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر

شركة
دار الشرق العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

الرقم الدولي : ISBN 9953 - 61 - 433 - 4
الموضوع : سلسلة مشاهير علماء المسلمين
العنوان : ابن خَلدُون
اعداد : محمد علي عفش
الصفحات : 24
الطبعة الأولى: 2014

MB MACAW BOOKS

لبنان ـ بيروت ـ ص . ب : 11/6918 الرمز البريدي 11072230 تلفاكس : 01 701668
سورية ـ حلب ـ ص . ب : 415 هاتف : 2115773 / 2116441 / فاكس : 2125966

www. afach.aleppodir. com email: afashco1@ scs-net. org

في هذه سلسلة

تعد النهضة الأوربية من أهم عصور التاريخ حين غرزت روح الاستطلاع والإنسانية بذور الفكر الحديث.

ولكن ما لم يستكشف بعد هو الفترة السابقة لهذه النهضة.

تبحث هذه السلسلة من الكتب في حضارة موازية لا تقل دهشة وإثارة عن الحركة الثقافية في أوربا القرن الخامس عشر.

عرفت هذه المرحلة بالنهضة الإسلامية.

وقد ولدت عقولا معطاءة أسست أفكارها لعدد من الاكتشافات في عالم العلوم الحديثة.

المحتويات

1. مَولِدُ وبيئة ابن خَلدُون	5
2. خسارةُ العائِلة	7
3. تعليمُ ابنِ خَلدُون	9
4. بداياتُ حياتِهِ المهنيّةِ	11
5. مقابلة بيدرو	13
6. العالم المترحِّل	15
7. مُقدِّمة ابن خَلدُون	17
8. في القاهرة	19
9. الالتقاء بتيمورلَنْك	21
10. السَّنواتُ الأخيرةُ	23
شَرحُ المُفرداتِ	24

1

مَولِدُ وبيئةُ ابنِ خَلدُون

وُلِدَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ محمّدٍ بنِ خَلدُونَ في حي الخلدونيةَ في تونسَ سنة (732هـ/1332م).

وهو يعدُّ أعظمَ مُؤرِّخٍ عربيٍّ كتَبَ في التَّاريخِ والفلسفةِ (علمِ الاجتماعِ)، واشتُهِرَ بكتابةِ مُقدِّمتِهِ المعروفةِ.

كتبَ ابنُ خَلدُونَ قِصَّةَ حياتِهِ في سيرةٍ ذاتيةٍ تحتَ عنوانِ "التَّعريف بابنِ خَلدُون"، وجعلها في آخر كتابهِ التاريخيِّ "العِبر".

ويدَّعي في هذا الكتابِ بأنَّ عائِلتَهُ تنتمي إلى عشيرةِ خَلدُونَ التي تعودُ أصولُها إلى جنوبِ الجزيرةِ العربيةِ.

وقد انتقلتِ العشيرةُ إلى الأندلسِ إبَّانَ الفتحِ العربيِّ لها، واستقرَّتْ في بلدةِ كارمونا، ثم انتقلتْ عائلتُهُ بعدَ ذلكَ إلى إشبيليّة، وشاركتْ في الحربِ الأهليةِ التي دارتْ في القرنِ التَّاسعِ، وأصبحتْ بعدَها العائلةُ من أقوى عائلاتِ المدينةِ.

وبقيتْ عائلتُهُ عشراتِ السنينَ تحتلُّ المناصب في قصورِ الحكَّامِ الأمويينَ والمُرابِطينَ والمُوحِّدينَ الذين تعاقبُوا على حُكم إِشبيلية.

2

خسارةُ العائِلةِ

ماتَ الكثيرُ من أسلافِ ابنِ خَلدُون في معركةِ الزلاَّقةِ سنة (479هـ/1086م) أثناءَ خدمتهمْ في الجيشِ، وقد بدأتْ إشبيليةُ بالتَّداعِي منذُ ذلكَ الحينِ؛ فقرَّرتْ عائِلةُ ابنِ خَلدُونَ الانتقالَ إلى سبتةَ على السَّاحلِ الشَّمالي للمغربِ.

وكانَ اللاجئونَ الأندلسيُّونَ في سبتةَ يملكونَ المالَ والمركزَ الاجتماعيَّ أكثرَ من السكانِ المحليينَ.

ساعَدَ الوضعُ الاقتصاديُّ والاجتماعيُّ القويُّ لعائلةِ ابنِ خَلدُونَ على أَنْ تتبوّأَ مناصبَ إداريةٍ مهمّةٍ في تونسَ؛ فقد كانَ والدُ ابنِ خلدونَ مُوظَّفاً إدارياً وجندياً في تونسَ في عهدِ الدَّولةِ الحفصيةِ.

ولكنَّهُ تخلَّى عن كلِّ ذلكَ، واهتمَّ بالعلومِ الشرعيةِ واللغويّةِ. ويذكرُ ابنُ خَلدُونَ في سيرتِهِ الذَّاتيةِ مَقدِرةَ والدِهِ الفائقةَ في اللغةِ والشعرِ العربيِّ.

وفي سنة (750هـ/1349م) شاءتِ الأقدارُ أن يخسرَ ابنُ خلدونَ والديهِ بوباءِ الطَّاعونِ الذي تفشَّى بتونسَ؛ وقد أصابَتْهُ هذهِ الفاجعةُ بألمٍ عميقٍ.

3

تعليمُ ابنِ خَلدُونَ

حَفِظَ ابنُ خلدونَ القرآنَ في سنٍّ مُبكِّرةٍ، وعندَما كَبِرَ درسَ العلومَ الشَّرعيةَ واللغويةَ وتفسيرَ القرآنِ والأدبَ، وظهرتْ موهبتُهُ في قَرضِ الشِّعرِ باكراً، وقد طوَّعَ هذه الموهبةَ ـ فيما بعدُ ـ لمديحِ مُختلَفِ الحكّامِ تقرُّباً منهم وتزلُّفاً. وأبدى ابنُ خلدونَ اهتماماً عميقاً بالفلسفةِ والتَّاريخِ والجغرافيا والعلومِ الاجتماعيةِ الأُخرى، ولخَّصَ العديدَ من كُتبِ ابنِ رشدٍ، الفيلسوفِ العربيِّ من القرنِ الثاني عشرَ. وبعدَ أَنْ أنهى دراستَهُ التقليديةَ أكملَ معرفتَهُ في مجالَيِ الفلسفةِ والعلومِ الاجتماعيةِ. وعندَمَا بلغَ ابنُ خلدونٍ الثامنةَ عشرةَ منْ عمرِهِ، بدأَ يشتغلُ بالوظائفِ العامَّةِ والسياسيَّة، معَ متابعةٍ مستمرَّةٍ للقراءةِ والاطِّلاعِ والكتابةِ والتعليم. وأمَّا حياتُه العمليَّةُ فقدْ بدأَهَا ابنُ خلدونٍ بوظيفةِ كتابةِ العلامةِ أَيْ: ديوانُ الرسائلِ بتونسَ، ثمَّ تقلَّبَ بعدَ ذلكَ في البلادِ متوليًا المناصبَ المختلفةَ، وقاسى كثيرًا، بلْ وعانَى الأهوالَ الشديدةَ من المؤامراتِ السياسيَّةِ، بل شاركَ فيها أحيانًا.

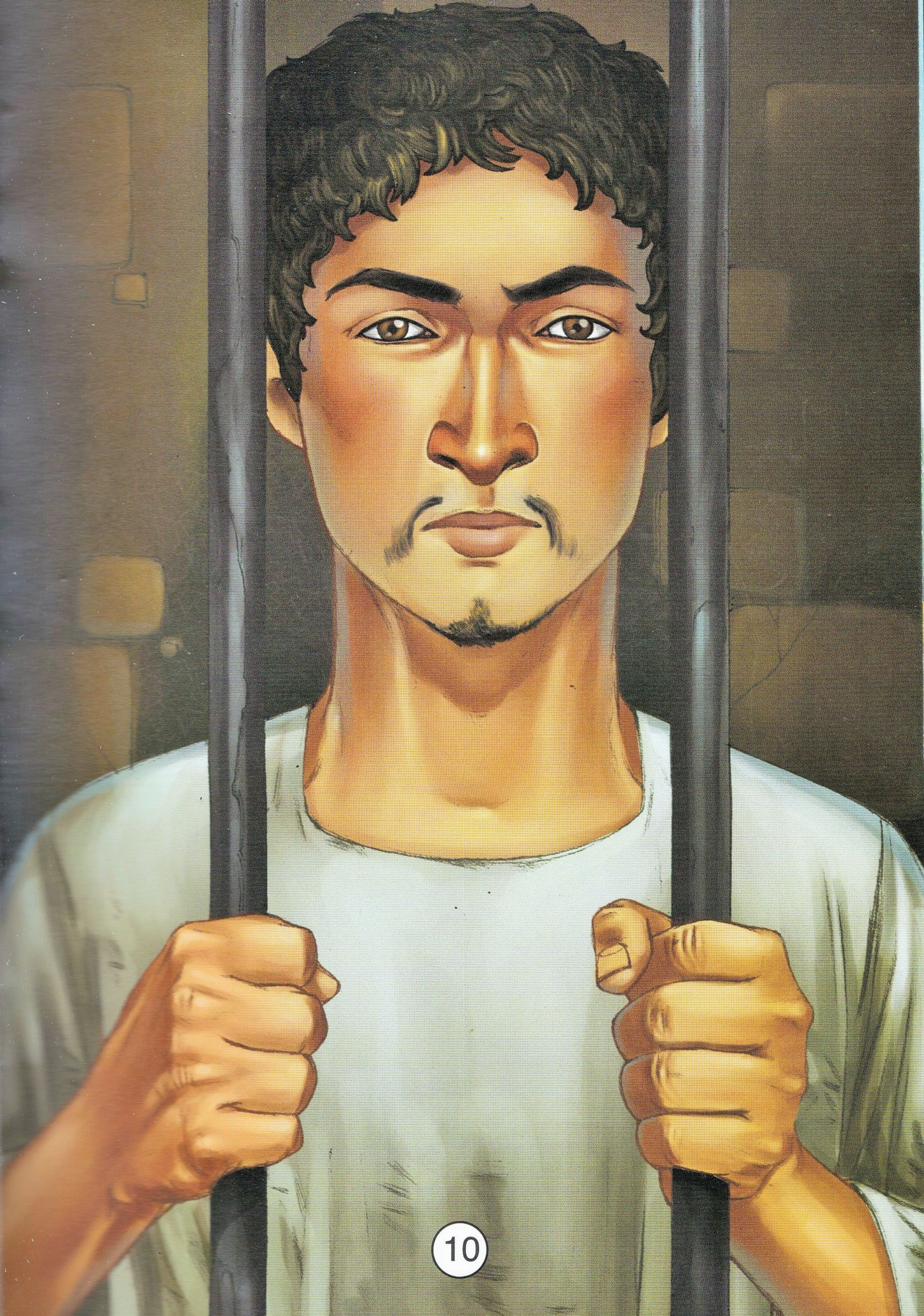

4 بداياتُ حياتِهِ المِهنيةِ

مُنِحَ ابنُ خَلدُونَ في سنِّ العشرينَ مركزاً سياسياً في البلاطِ الحفصيِّ التونسيِّ، ثمَّ دعاهُ سلطانُ المغربِ أبو عنانٍ المرينيُّ إليهِ سنةَ (755هـ/ 1354م) وجعلَهُ كاتبَهُ ومستشارَهُ؛ فانتقلَ للعيشِ في فاسٍ، وتزوَّجَ في هذهِ الفترةِ. وبعد مضيِّ عامينِ من عملِهِ في خدمةِ السلطانِ بدأَتِ المتاعبُ تَعترِضُ طريقَهُ؛ حيثُ شكَّكَ الطامعونَ بمنصبِهِ في ولائِهِ للسّلطانِ، واتُّهِمَ بالاشتراكِ بثورةٍ ضدّهُ؛ فأُودِعَ السجنَ.

بَقِيَ ابنُ خَلدُونَ عامينِ في السِّجنِ، إلى أن تُوفِّي أبو عنانٍ، وتولَّى حُكمَ المغربِ بعدَهُ ابنُهُ السعيدُ بالله أبو بكرٍ المريني؛ الذي أطلقَ سراحَهُ.

ولكنَّ سعادتَهُ لم تدمْ طويلاً حيث غَضِبَ عليهِ الحاكمُ الجديدُ، ولم يبقَ لهُ سوى أن يغادرَ البلادَ؛ فقرَّرَ أن ينتقلَ إلى غرناطةَ؛ لأنه كانَ صديقاً لرئيسِ وزرائِها ابنِ الخطيبِ الذي كانَ أيضاً كاتباً عظيماً؛ ومعروفاً لدى حاكمِها ابنِ الأحمرِ الذي كانَ ابنُ خلدُونَ قد ساعدَهُ في بعضِ الشؤونِ الحكوميةِ حين كانَ كاتباً بفاسٍ.

وكانَتْ سنُّ ابنِ خلدونَ في هذهِ الأثناءِ 32 عاماً.

5

مُقابلةُ بيدرو

أخذَهُ عملُهُ الجديدُ في غرناطةَ إلى إشبيليةَ في العامِ التالي؛ حيثُ قابَلَ بيدرو الأولَ حاكمَ قشتالةَ.

وقد روى ابنُ خلدونَ لبيدرو قصةَ أسلافِهِ وإنجازاتِهم، فأبدى لهُ كلَّ الاحترامِ واللُّطفِ، وعرضَ عليهِ مَنصباً في حكومتِهِ، وأن يُعيدَ إليهِ أملاكَ أسلافِهِ.

فاعتذرَ ابنُ خلدونِ عن قَبولِ المنصبِ، ولكنَّهُ قَبِلَ بمنحِهِ قريةً في المملكةِ، ودعا عائلتِهِ التي كانَتْ قد غادرتْ قسنطينةَ إلى العيشِ في القريةِ.

في تلكَ الأثناءِ، استغل أعداؤه مكانتَهُ من السلطانِ، فأشعلُوا نيرانَ الغيرة في نفسِ ابنِ الخطيبِ؛ فلم يجد ابنُ خلدونَ بدّاً من تَركِ حياةِ الاستقرارِ، والبحثِ عن مكانِ لجوءٍ وعملٍ جديدٍ؛ لذا عادَ إلى إفريقيا.

6

العالِمِ المترحِّل

أمضى ابنُ خلدونَ السنواتِ العشرَ التَّاليةَ وهو ينتقَّلُ من بلدٍ إلى آخرٍ، ومن عملٍ إلى غيرِهِ؛ فانتقلَ من بجايةَ إلى تلمسانَ إلى بسكرةَ ثم من فاسٍ إلى غرناطةَ من جديدٍ. وحاوَلَ في غرناطةَ أن يُنقِذَ حياةَ صديقِهِ القديمِ ابنِ الخطيبِ، ولكنَّ السلطانَ كانَ قد أصدرَ أمرَهُ. وقد شَهِدَ ابنُ خلدونَ إعدامَ صديقِهِ ومنافسِهِ السابقِ.

كانَتْ هذه الفترةُ في حياةِ ابنِ خلدونَ مليئةً بالأحداثِ؛ فقد عَمِلَ رئيساً للوزراءِ في عدّةِ بلاطاتٍ، وتعرَّضَ للسرقةِ من قِبلِ البدوِ، ولكنَّهُ كانَ يُتابعُ دراساتِهِ.

وقد يسألُ سائلٌ: لماذا يستمرُّ ابنُ خلدونَ في التِّرحالِ من بلدٍ لآخرٍ؟

الجوابُ: هو أنَّ الأوضاعَ السياسيةَ في ذلكَ الحينِ كانَتْ شديدةَ الاضطرابِ؛ فقد انهارتْ دولةُ المُوحِّدينَ في منتصفِ القرنِ الثالثَ عشرَ بعدَ أن كانَتْ تمتدُّ على كاملِ شمالِ أفريقيا وبلادِ الأندلس، وأصبحتِ الحروبُ والثوراتُ جزءاً من الحياةِ اليوميةِ، ولم يَعُدْ يوجدُ استقرارٌ في حياةٍ أو عملِ أيِّ فردٍ.

وكما يبدو أنَّ ابنَ خلدونَ كانَتْ لديهِ القدرةُ على خَلقِ الأعداءِ بسرعةٍ، وكانَ هذا يجعلُ استقرارَهُ في مكانٍ ما أمراً صَعباً.

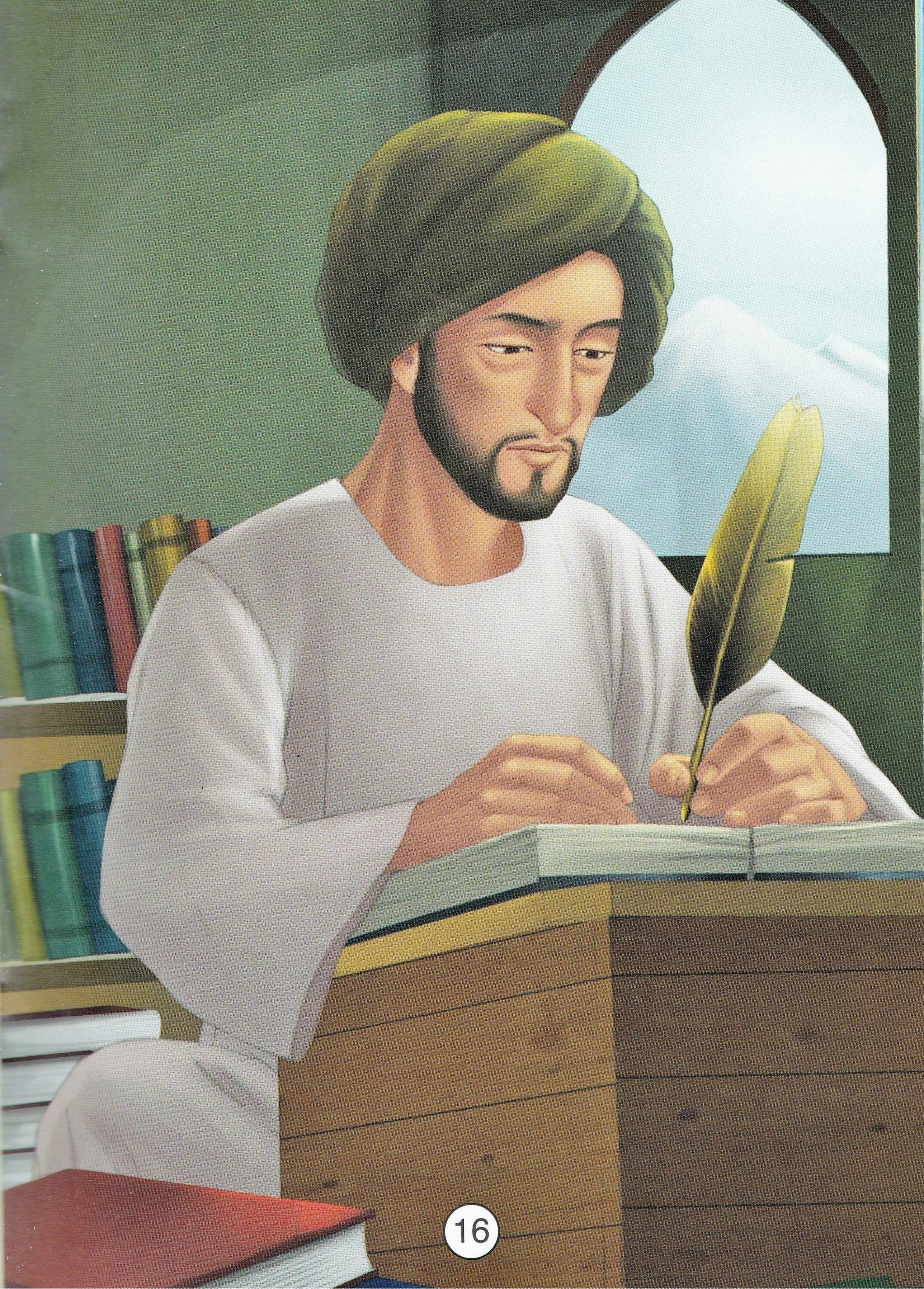

7

مُقدِّمةُ ابنِ خَلدُون

في سنة (676هـ/1375م)كانَ ابنُ خلدونَ قد تَعِبَ من الانتقالِ من مكانٍ إلى آخرٍ، وما تفرضُهُ عليه متطلَّباتِ مهنتِهِ السياسيةِ؛ فلجأَ إلى قبيلةِ أولاد عارف، وأمضى أربعَ سنواتٍ في قلعةِ ابن سلامةَ بالقربِ من بلدةِ فرندة الجزائريةِ، وراحَ يعملُ على كتابةِ مُقدِّمتِهِ.

أكملَ ابنُ خلدونَ المخطوطَ الأوَّلَ من "المقدمة" أثناءَ إقامتِهِ في الجزائرِ، وبدأَ يكتبُ عن تاريخِ المسلمينَ في شمالِ أفريقيا في كتاب بعنوانٍ "العِبَر، وديوان المبتدأ والخبرِ، في أيامِ العربِ والعجمِ والبربرِ، ومَنْ عاصرَهم من ذوي السلطانِ الأكبرِ".

وكانَ ابنُ خلدونَ يذهبُ أحياناً إلى المدينةِ ليقومَ بأبحاثِ كتابِهِ، ثم أُصيبَ بالمرضِ بعد فترةٍ قصيرةٍ؛ وكانَ عليهِ أن يعودَ إلى تونسَ.

ولكنْ لم يمضِ زمنٌ طويلٌ على إقامتِهِ فيها حتَّى اضطُرَّ إلى مغادرتِها بسبب غيرةِ أحدِ العلماءِ البارزينَ منهُ وارتيابِهِ بهِ؛ فهربَ إلى مصرَ سنةَ (784هـ/1382م) مُتظاهِراً بأنَّهُ ذاهبٌ إلى الحجِّ في مكَّةَ، وكانَ حينَها في الخمسينَ من عمرِهِ.

8

فـي القاهرةِ

وصلَ ابنُ خلدونَ إلى القاهرةِ بعدَ شهرينِ من السَّفرِ، وقد أعجبَتْهُ هذهِ المدينةُ كثيراً،وأَخذ يُعلِّمُ في الأزهرِ؛ فانهالَ عليه طلبةُ العلمِ، ثم منحَهُ سلطانُ المماليكِ الملكُ الظاهرُ برقوقُ منصبَ قاضي المالكيةِ بمصرَ، وذلك سنة (786هـ/1384م).وقد توسَّطَ السلطانُ برقوق لدى أميرِ تونسَ الحفصيِّ أبي العباسِ أحمدَ الثاني لكي يُرسلَ عائلةَ ابنِ خلدونَ من تونسَ إلى القاهرةِ، ولكنَّ السفينةَ التي كانَتْ تُقلُّهم غَرِقَتْ بالقربِ من الإسكندريةِ. يذكرُ ابنُ خَلدُونَ في سيرتِهِ الذَّاتيةِ أنَّهُ على الرغم ومع حزنِهِ العميقِ إلاَّ أنهُ كانَ مُلتزِماً بجديّةٍ بمنصبِهِ القضائيِّ؛ وقد حاوَلَ أن يُبطِلَ العقوباتِ المُذِلّةِ التي كانَتْ تُمارَسُ باسمِ العدلِ، ولم يخفْ في اللهِ لومةَ لائم؛ فساءَ ذلك الوجهاءَ والأعيانَ والمفتينَ المرائينَ الذين اعتبروهُ مُتصلِّباً في رأيِهِ؛ فأعملُوا له المكائدَ وقدحُوا به؛ حتَّى أُزيلَ من منصبِهِ بعد سنةٍ؛ فتحوَّلَ إلى التَّدريسِ والقراءةِ وكتابةِ كتبِهِ. أدَّى ابنُ خلدونَ فريضةَ الحجِّ أواخرَ سنةِ (789هـ/1387م)، ثم عادَ إلى مصرَ، فوُلِّيَ الإشرافَ مدةً على الخانقاهِ البيبرسيةِ، ثم عُزِلَ عنها، ثمَّ أُعيدَ ثانيةً سنة (801هـ/1399م) إلى قضاءِ المالكيةِ، ولكنَّهُ عُزلَ عنها بعدَ سنةٍ ونصفٍ. وخلالَ تصدُّرِهِ لقضاءِ المالكيةِ رافَقَ سلطانَ مصرَ الجديدَ فرجَ بنَ برقرق إلى الشامِ، واستغلَّ ذلكَ فتجوَّلَ في فلسطينَ؛فزارَ القدسَ والخليلَ وغزَّةَ.

9

الالتقاءُ بتيمورلنك

في سنة (803هـ/1400م) غزا القائدُ المغوليّ تيمورلنك سوريا بقواتِهِ، فطلبَ سلطانُ مصرَ الجديدُ فرجُ بنُ برقوقَ من ابنِ خَلدُونَ أَنْ يُرافِقَهُ لإجراءِ المحادثاتِ معَ تيمورلنك. ولكنَّ السلطانَ اضطُرَّ إلى العودةِ إلى مصرَ بسببِ ورودِ أخبارٍ عن ثورةٍ وشيكةٍ في بلادِهِ،وبَقِيَ ابنُ خلدونَ في دمشقَ سبعةَ أسابيعَ أجرى فيها سلسلةً من الاجتماعاتِ معَ تيمورلنك.

ويَذكرُ ابنُ خلدونَ لقاءاتِهِ مع تيمورلنك بالتَّفصيلِ في سيرتِهِ الذاتيةِ، وقد أُعجِبَ تيمورلنك بعلمِ وحكمةِ ابنِ خلدونَ،وأبدى لهُ الكثيرَ من الاحترامِ، وكانَ يسألُهُ مختلفَ الأسئلةِ عن شمالِ أفريقيا، وهي المنطقةُ التي ربَّما كانَ تيمورلنك يُفكِّرُ بغزوِها لاحقاً لتوسيعِ إمبراطوريتِهِ. واستغلَّ ابنُ خلدونَ كونَ تيمورلنك في مزاجٍ صافٍ في إحدى المراتِ، وسألَهُ أن يمنحَ الأمانَ للكثيرِ من الموظَّفينَ المدنيينَ المصريينَ الذينَ كانَ يحتجزَهم ليستفيدَ من خدماتِهم في دولتِهِ الواسعةِ بدلَ قتلِهِمْ واعتقالِهم؛ فحقَّقَ لهُ تيمورلنك ذلكَ.

10

السَّنواتُ الأخيرة

في طريقِ عودتِهِ إلى مصرَ مُحمَّلاً بالهدايا من تيمورلنك تعرَّضَ ابنُ خلدونَ للسرقةِ من قِبَلِ البدوِ، ولكنَّهُ تمكَّنَ من متابعةِ طريقِهِ مُصاحباً قافلةً لابنِ عثمانَ سلطانِ الرومِ، فوصلَ إلى غزّةَ، ثم تابع رحلتَهُ إلى القاهرةِ دونَ حوادثَ أخرى.

قضى ابنُ خلدونَ بقيةَ سنواتِ عمرِهِ بمصرَ، وقد كُلِّفَ بقضاءِ المالكيةِ مراراً ثم عُزِلَ، إلى أَنْ مات في سنة 808هـ/1406م، ودُفِنَ في مقبرةٍ خارجَ القاهرةِ. ودُرِّسَتْ كُتبُ ابنِ خَلدُونَ عدّةَ قرونٍ، وكانَ فضلُهُ كبيراً على التاريخِ. وأثَّرتْ كتاباتُهُ كثيراً في الكُتَّابِ المصريينَ اللاحقينَ، وأحدثتْ نهضةً في كتابةِ التاريخِ في البلاد.

وفي القرنِ الثامنَ عشرَ تُرجِمتِ "المُقدِّمةُ" إلى الفرنسية، فوصلتْ إلى مدًى أوسعَ من التداولِ والقراءةِ والتقديرِ الذي تستحقُّهُ.

وقدْ احتفلَ محركُ البحثِ العالميِّ "غوغل" يومَ 27 مايو/أيارَ 2011 بذكرى مرورِ 679 سنةً على ميلادِ مؤسِّسِ علمِ الاجتماعِ العربيِّ ابنِ خلدونٍ.

شَرْحُ المُفردات

أسلاف: أجداد.

التَجأ: احتمى من الخطرِ.

البلاط: قَصْرُ الملكِ أو الأميرِ وما يُحيطُ بهِ. وتوسُّعاً: البلدُ الذي يحكمُهُ الملكُ أو الأميرُ.

التَّداوُل: الانتشارُ والتعاملُ بشيءٍ بينَ الناسِ.

سَلِسٌ: سَهلٌ وخالٍ من التَّعقيدِ.

السِّيرة الذَّاتية: قِصّةُ حياةِ الكاتبِ كما يكتبُها بنفسِهِ.

العِبَر: الأحكامُ المُستخلَصةُ من الحكايا والقِصَص.

قضائيّ: مُتعلِّقٌ بالقانونِ أو الشَّرعِ.

وَشِيك: قريبُ الحدوثِ.

سلسلة مشاهير علماء المسلمين

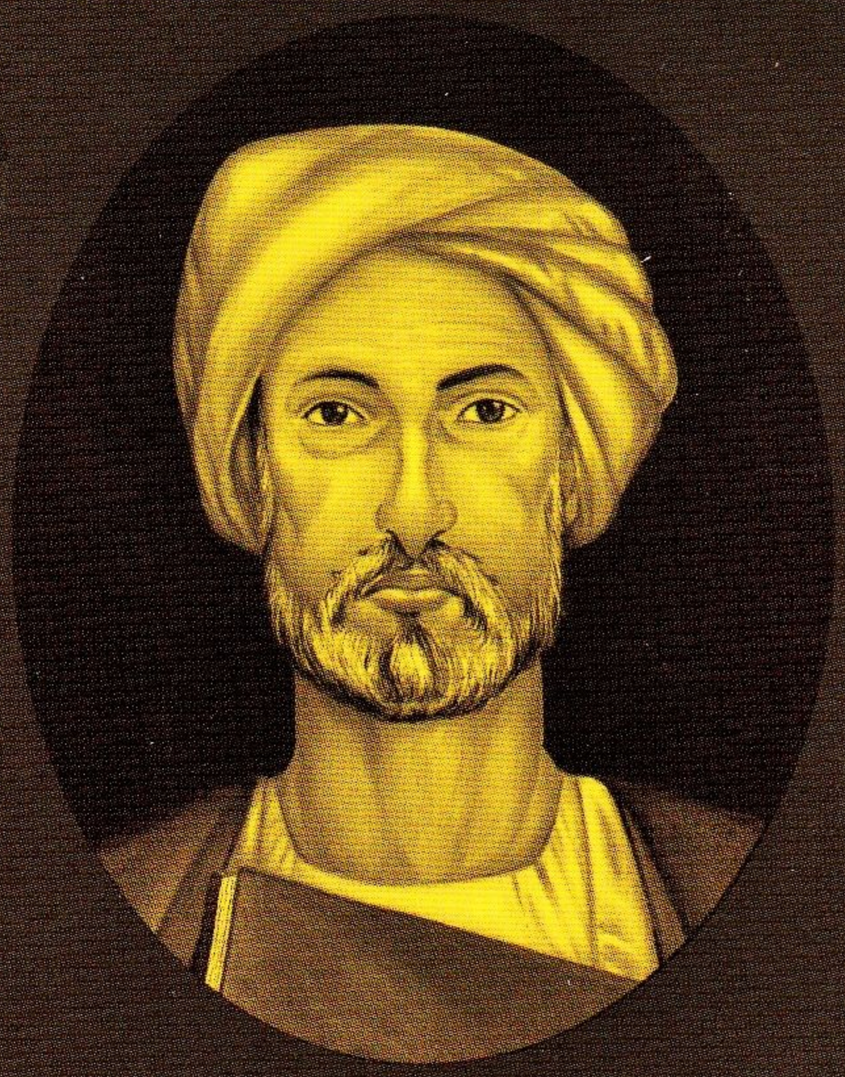

ابنُ خلدُون

تعد النهضة الأوربية من أهم عصور التاريخ حين غرزت روح الاستطلاع والإنسانية بذور الفكر الحديث. ولكن ما لم يستكشف بعد هو الفترة السابقة لهذه النهضة.

تبحث هذه السلسلة من الكتب في حضارة موازية لا تقل دهشة وإثارة عن الحركة الثقافية في أوربا القرن الخامس عشر. عرفت هذه المرحلة بالنهضة الإسلامية. وقد ولدت عقولا معطاءة أسست أفكارها لعدد من الاكتشافات في عالم العلوم الحديثة.

تم تصنيف هذه القصة وفق معايير تصنيف كتب أدب الأطفال بناءً على مشروع «عربي 21»، وقد صنفت لمستوى «ص» الصف السابع المتوسط – متقن أدنى

ISBN 995361433-4

9 789953 614335

بيروت – لبنان

تلفاكس: 00961 1 701668

ص.ب.: 11/6918 – الرمز البريدي 11072230

سوريا – حلب

هاتف: 2115773 - 2116441

فاكس 00963 21 2125966 ص.ب.: 415

E-mail: afach1@scs-net.org

info@afashedu.com

شركة

دار الشرق العربي